

Received: 19/11/2023

Accepted: 17/1/2024

Analyzing Najib Mahfouz's *Abd al-Aqdar* novel with the approach of modern historicism

Farzaneh Vaezi¹, Enayatullah Fatehinejad*², Seyed Babak Farzaneh³

Abstract

In the late of 20th centuries, based on the ideas of an American thinker, Steven Greenbelt, term of the new historicism was formed against the traditional one. In the new historicism, literary texts can be interpretable as historical texts, and if history is a kind of narrative, then narratives are the same kind of historical texts, hence it is referred to history text and text history. In modern historicism, there is no boundary between history and literature, and reader can re-read the texts to discover the hidden layers behind the original text. Sometimes factors such as political and social restrictions prevent the author's discourses related to the power structure by denying the freedom of his expression openly and force him to use another way to express his intentions. Najib Mahfouz, who was in this situation, chose the code language to express the truths of society and strengthen the spirit of anti-colonialism and fight against the authoritarian policies of the rulers, in order to fulfill his mission in the form of historical narratives. In his novel "Aabaso Al-Aqdar", he used the ancient history of Egypt as a pretext to express nationalist and libertarian and anti-colonial ideas. In this article, we intend to disclose the real text of "Aabaso Al-Aqdar", and the age author's unsaid discourses by the new historicism approach.

Keywords: New Historicism, Najib Mahfouz, Aabaso Al-Aqdar.

¹ Ph.D. student of Arabic language and literature, Department of Research Sciences, Islamic Azad University, Tehran, Iran, Email: Abualir44@gmail.com

² Corresponding Author Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Central Tehran Branch, Islamic Azad University, Tehran, Iran.. Email: akramhabibi453@yahoo.com

³ Professor, Department of Arabic Language and Literature, Science and Research Unit, Islamic Azad University, Tehran, Iran. Email: dr.farzaneh@gmail.com



135



© The Author(s).

Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.



فصلية دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠

الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩



تحليل رواية «عبث الأقدار» لنجيب محفوظ في ضوء نظرية التاريخانية الجديدة

فرزانه واعظی^١، عنایت الله فاتحی نژاد^{٢*}، سید بابک فرزانه^٣

الملخص

منذ أواخر القرن العشرين ظهر مصطلح التاريخانية الجديدة على أساس آراء المفكر الأمريكي ستيفن غرينبلت و كردة فعل مقابلة التاريخانية التقليدية. يرى أتباع هذه النظرية أن النصوص الأدبية تقبل التأويل شأنها شأن النصوص التاريخية أي إذا كان التاريخ باعتباره ضرباً من الرواية فإن الروايات تعتبر نوعاً من النصوص التاريخية ولذلك جاء الاعتقاد عندهم بنصية التاريخ و تاريخية النص و على ذلك لا يوجد هناك حدّ بين التاريخ و الأدب ومن خلال قراءة النصوص الأدبية بإمكان القارئ الحصول على معلومات تاريخية قيمة تكمن ضمن سياق النص. و اتباعاً للمنهج الوصفي - التحليلي، قام مؤلفو هذه المقالة بدراسة تحليلية لرواية «عبث الأقدار» لكشف الستار عن الجوانب التاريخية و الاجتماعية و الخطابات من التاريخ والخطابات السائدة في عصر المؤلف. وفقاً لنتائج البحث، فقد عرض نجيب محفوظ الخطابات والتورات الفكرية والمواجهات الاجتماعية للمجتمع في العقود الوسطى من القرن العشرين من خلال إعادة خلق قصص تاريخية فرعونية في هذه الرواية، ويمكن القول أن العمل هو النتاج المعاكس لخطابات مثل إنكار المصير، وتعزيز روح النضال و المعارضة الاستبداد، وانعكاس الأصوات القومية، والمواجهة بين الأفكار الاستعمارية والمناهضة للاستعمار.

الكلمات الدليلية: التاريخانية الجديدة، نجيب محفوظ، عبث الأقدار، الرواية التاريخية.

٢٠٢٤/١١/٢٨: مراجعاً

٢٠٢٤/١١/١٤: مراجعاً

الشأن (٤٢٠٢) السنة الخامسة، العدد ١١ ، ص ١٥٢-١٥٣

^١ طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقیقات، طهران- إیران

البريد الإلكتروني: farzaneh.vaezi124@gmail.com

^٢ أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقیقات، طهران- إیران (الكاتب المسؤول)

البريد الإلكتروني: fatehieenayat@gmail.com

^٣ أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقیقات، طهران- إیران

البريد الإلكتروني: dr.farzaneh@gmail.com

الناشر: © جامعة الخوارزمي والجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها.

حقوق التأليف والنشر © المؤلفون



١. المقدمة

ظهرت التاريخانية الجديدة كنظرية أدبية لأول مرة في أواخر القرن العشرين على أساس آراء و أعمال ستيفن جرينبلت وبهثابة ردة فعل ضد التاريخانية التقليدية. ووفقاً لاعتقاد هذا المنظر الأمريكي، ينبغي اعتبار التاريخانية الحديثة كنوع أدبي من قراءة النصوص وتحليلها و ليست مدرسة في النقد الأدبي مثل المدرسة الواقعية الرومنطيقية وإلخ. هذا المنهج يقوم من خلال تسلیط الضوء على الروايات التاريخية المكتوبة للفئات الهمامشية، بإعادة النظر للنصوص التاريخية السائدة أو النصوص الأدبية المكتوبة في ذلك العصر، لتكشف ما اختفى تحت النص الأصلي (تايسن، ٢٠٠٧: ٤٦٨). بعبارة أخرى يؤكد هذا المنهج في النقد الأدبي على «تارikhية النص ونصية التاريخ» ويعتقد التاريخيون الحدّ أنه لا فرق بين النصوص أكانت تاريخية أم أدبية و إذا كانت النصوص التاريخية و شروحها ضرباً من أقسام الرواية فإن الروايات تكون بدورها نوعاً من النصوص التاريخية؛ وعلى هذا الأساس، يمكن فهم بعض القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية في عصر المؤلف التي ظلت مخفية في طيات النص و مابين السطور بالاعتماد على قراءة النص من جديد و يمتهن الدقة إلى جانب اتخاذ الطريقة الصحيحة فيها (مونتروز، ١٩٨٩: ١٧). كما يقول فاولز، فإن تكوين كل نص أو رواية يأتي في ضوء هدف محدد و مرتبة خاصة كما تكون بنية النص انعكاساً للظروف التي عاشها المؤلف و متأثرة بالخطابات السائدة في عصره (ميلاي، ١٣٨٥: ١٠٤) . ولذلك فإن كل رواية تروي قصة من الماضي والتاريخ بطريقة مختلفة لا تتبع القواعد والضوابط المتعارف عليها و بشكل واضح.

حظي نجيب محفوظ بشهرة كبيرة و مكانة سامية في الرواية العربية المعاصرة دون أدنى شك كما كان مهتماً بقضايا وأحداث سياسية واجتماعية في المجتمع المصري و العربي حيث تطرق في رواياته إلى القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها مصر، كما كشف عن التوترات والمواجعات الخطابية والسياسية في نصوصه السردية اللامعة، و كرس أولى نشاطاته الكتابية لتأليف عدد من الروايات التاريخية (وهي عبد الأقدار، رادوبيس، كفاح طيبة)؛ ورغم أنها تتسم بالسمات التاريخية لكنها تميز بخصائص و ضوابط الكتابات الروائية متضمنة خيال المؤلف ومواصفات التحليل السردي و لذلك ليس من شأنها أن تعتبر نصوصاً تاريخية بحثة . و ما حري بالذكر أن روايات نجيب محفوظ التاريخية شأنها شأن أي عمل روائي، ليست بمنأى عما يعيشه المجتمع من الأحداث و الظروف الخاصة به و لذلك كان نجيب محفوظ في خضم ظروف تاريخية متازمة قرر أن يتخذ أسلوباً سردياً خاصاً به في تأليف رواياته و هو الأسلوب التاريخي المتذر في عصر الفراعنة . إذن تهدف هذه المقالة إلى دراسة إحدى روايات نجيب محفوظ التاريخية المسماة بـ «عبد الأقدار» (نشرت عام ١٩٣٩) دراسة تحليلية معتمدة على نظرية التاريخانية الحديثة. تعود أحداث الرواية إلى عصر الفراعنة و بناء الأهرام إلا أنها وفي طياتها ترمز إلى الخطابات الغائية والمقومة في عصر المؤلف، و يمكن القارئ من خلال التركيز على النص و بذكائه و قراءته الدقيقة أن يكتشف ما يمكن وراء النص مما انتقده المؤلف من المشاكل السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي تعانيها الشعب المصري. و لذلك قام نجيب محفوظ بميله التحررية وأفكاره المناهضة للاستعمار والاستبداد بكتابه رواية «عبد الأقدار» تحت ظروف سياسية شديدة التازم ، و إنه بسبب القيود السياسية و الاجتماعية والخطابات المهيمنة المدعومة من جانب



السلطة المحكمة لم يكن قادرًا على التعبير عن آرائه بشكل واضح، لذلك كان عليه أن يستخدم أسلوبًا آخر للتعبير عما في ضميه و خفايا نفسه فاضطر استخدام لغة في الروايات التاريخية لإخفاء رسالته الرئيسية بين سطور النص. و على هذا يقوم بسرد قصة بناء الأهرامات المصرية ليعالج المشاكل والأزمات المصرية والسائلة في مجتمعه. ولذلك يتطرق هذا المقال إلى الإجابة عن السؤالين التاليين :

١. ما العلاقة بين رواية عبث الأقدار والقضايا التاريخية في عصر المؤلف؟
٢. أي نوع من الخطابات والمستويات الفكرية في رواية عبث الأقدار يكون مؤثراً أو فعالاً في تكوين الأثر وإنشائه؟

١-١. خلقيّة البحث

خلال الأعوام الأخيرة خضعت نظرية التارikhانة الجديدة للبحث و الدراسة ضمن مقالات و كتب و علي نطاق محدود منها : كتاب عباس ميلاني (٢٠٠١) بالفارسية بعنوان «تجدد و تجدد ستيزى در ايران» [= الحداثة و معارضتها في إيران] ، و المؤلف في كتابه لا يستخدم أسلوب التارikhانة الحديثة بشكل مباشر و منهجي غير أنه استخدم منهجاً جديداً في تحليل النصوص الفارسية القيمة بما فيها تاريخ ييهقى، أسرار التوحيد ، كلستان سعدي و ما شابهها لكشف الستار عن السردية التاريخية و التوجهات الفكرية التي تكمن في خفايا النصوص . يصرح ميلاني في معرض حديثه عن النصوص التاريخية و تحليلها قائلاً : إذا ما أردنا استنطاق النصوص القديمة - حسب تعبيره - لكشف التوجهات الفكرية و الخطابات السائدة المختفية فيها والنفوذ إلى بواطتها و فهم بنيتها و لعنتها فهماً دقيقاً فعلينا التخلص من قيود التقليدية كما ينبغي لنا الابتعاد عن قيود الغرب و التغرب و اتخاذ منهجه جديد في تفسير النصوص و إعادة قرائتها.

و يليه حسين بابنده حيث كتب مقالاً قيماً بالفارسية عنوانه «خوانش من به شيوه تاريخ گرایان نوین» [= قراءة النص على طريقة التارikhانة الجديدة] قام المؤلف فيه بدراسة و تحليل رواية سووشون للكاتبة سيمين دانشور بالاعتماد على منهج التارikhانة الجديدة ؛ و بعد تعريفه بالأسس النظرية لهذه النظرية، قدم المؤلف قراءته من هذه الرواية و التي تتضمن تحليل الخطابات السائدة أثناء احتلال إيران خلال الحرب العالمية الثانية و بالتركيز على «ثورة سعيرم» في الثلاثينيات من القرن الحاضر و مدى أصداءها في رواية سووشون.

و هناك مقالة أخرى بقلم بهزاد بركات ومعصوم تكلو (٢٠١٧)، بعنوان «إنما تسعى جاهدة من أجل عرقها: دراسة الأيديولوجية العنصرية في رواية جين آير من منظور التارikhانة الحديثة»، حاول الدارسان فحص رواية شارلوت برونتي لجين آير باعتبارها رواية إنجليزية قياسية يحاول في منتصف القرن التاسع عشر أن يبين كيف وإلى أي مدى يجده خطاب القوة المهيمنة في العصر الفيكتوري، على الرغم من معارضته الرواية الواضحة ضد العنصرية وآليتها، بجد أنها ترسخت إلى نص الرواية وأثبتت نفسه على تكوين البنية السردية.

إن البحث الأدبية والدراسات الثقافية في العالم الغربي المبنية على التارikhانة الحديثة، باعتبار أن الغربيين هم المبدعون والمطوروون لهذا المنهج، بدأت منذ البداية، أي أواخر الثمانينيات، ومن الطبيعي أن يكون نطاق البحث هناك واسعاً جدأ.



على سبيل المثال يمكن ذكر ما يلي: مقالة (١٩٨٩) التاريخانية الجديدة ودراسة الأدب الألماني، بقلم أنطون كيس؛ تتضمن هذه المقالة الافتراضات النظرية للتاريخانية الجديدة واختلافها مع التاريخانية التقليدية وشرح خلفية ظهور هذه النظرية كما يناقش قيمة التاريخانية الجديدة لدراسة الأدب الألماني الذي يتجاوز حدود الشخصيات ويضع موضوع دراسته في مجموعة من الخطابات الثقافية والتاريخية.

واما التاريخانية الجديدة عند أدباء العرب فإنها لم تقع موضع اهتمام بالغ إلا أن بعض الباحثين في إيران اهتموا بها وأفوا مقالات عنها باللغة العربية . من المقالات المكتوبة في هذا المجال يمكن الإشارة إلى مقالة لإبراهيم حسني وجواد يعقوبي دراي بعنوان «قراءة تاريخانية جديدة للمسرحيات الشعرية العربية المعاصرة؛ مصرع كليوباترا نموذجاً»، و هي نشرت باللغة العربية في مجلة إضاءات نقدية بجامعة كرج، يتضمن المقال دراسة و تحليل مسرحية مصرع كليوباترا من أعمال الشاعر و الكاتب المسرحي الشهير أحمد شوقي ، استنادا إلى منهج التاريخية الحديثة، إلا أن المقال في تحليل المسرحية اتخذ طريقاً خاطئاً حيث تطرق إلى الموضوع حسب نظرية الجينيولوجيا لفوكو أكثر من أن يكون قائماً على أساس أراء التاريخانية الجديدة.

والدراسة الأخيرة مقالة بعنوان «مفهوم التاريخ وتحليلاته في رواية عشت الأقدار لنجيب محفوظ» (١٣٩٥) للسيد مهدي مسبيو وشهرام دلشاد. تطرق فيها الباحثان إلى التغيرات التي أحدثها المؤلف في متن السرد التاريخي، و هي ممثلة في التغيرات الأدبية والتخيلية والتعامل مع المهامش والشمولية حيث أن النص التاريخ لا يحتوي عليها. لكن الجديد في مقالتنا هذه أنها تدرس رواية عشت الأقدار اعتمادا على المنهج التاريخانية الجديدة وتكتشف ارتباطها بالاتجاهات التاريخية والخطابية في عصر المؤلف. إذن تعتبر مقالة جديدة لم يبحثها باحث حتى الآن.

٢. الإطار النظري لنظرية التاريخانية الجديدة

إن التاريخانية الجديدة من أحدث المذاهب النقدية في حقول الدراسة المتداخلة وهي تتعارض مع التاريخانية التقليدية التي يقع النص فيها في الدرجة الأولى من الأهمية و يليه التاريخ كخلفية لها، بينما يكون النص في التاريخانية الجديدة ذا تأثير أكثر في كشف السردية و يقع في بطن الأنسجة الثقافية. و حسب أتباع التاريخانية الجديدة يتزامن تكوين المعتقدات و الإيديولوجيات مع ظهور الخبرات الجماعية في النظم الثقافية؛ بينما يرى أتباع التاريخانية التقليدية أن التاريخ عبارة عن انعكاس الأحداث الحقيقة بشكل دقيق ويقوم المؤرخ بتصويرها كما كانت. و في المقابل يُصرح في التاريخانية الجديدة بأن من قاموا بتسجيل التاريخ ظلوا متأثرين ببيولهم الشخصية و توجهاتهم الخاصة بهم في تفسير الأحداث دون أن يكونوا محايدين غير منحازين في ذلك (بريسلر، ٢٠١٦: ٢٠١٦). و حسب هذه النظرية ما هو موضع الاهتمام ليس الأحداث التاريخية بمثابة الأحداث بل المهم هو طرق تفسيرها إلى جانب السردية التاريخية و طرق رؤية العالم و وجوده المعنوي و لذلك لا تعتبر الواقع والأحداث حقائق للتتسجيل و إنما هي نصوص للقراءة (تايسن، ٢٠٠٧: ٤٩١). من وجهة نظر فوكو ليس التاريخ إلا شكلاً من أشكال السلطة و لذلك للوصول إلى معرفته لابد من دراسة السردية التاريخية جنباً إلى جنب العلاقات

المبادلة بينها و بين أركان السلطة و علاقتها بالأفعال غير الخطابية(بازلر، ٢٠٠٧: ٢٤٩).

يهم أتباع التارikhانية الحديثة بالتأثيرات الاجتماعية والأيديولوجية للمعنى وكيفية تشكيله في النص، ويقدمون قراءات من النصوص الأدبية بشكل عام تتعارض مع وجهات النظر غير التارikhية و التي تقوم على أساس النقد التقليدي القائم على النص ، و في ضوء هذا المنهج يتم تفسير النصوص بالاعتماد على المنهجية التارikhية و في بيئه ثقافية تم تكوينها (إدغار، ١٣٨٧: ٩١) . و في التارikhانية الجديدة جرى الاعتقاد بأن الأدب يتم تحميشه في ضوء التارikhانية التقليدية و لذلك يكون التأكيد على الاحتفاظ بالنص الأدبي في إطار بلازمان و ماوراء التاريخ. بناء على ذلك فإن النصوص الأدبية ليست أشياء فنية قائمة بالذات تتجاوز زمان ومكان كتابتها، بل هي نتاجات ثقافية تعرض الخطابات المتداولة وقت كتابتها وهي إحدى من هذه الخطابات أو آلياتها على الأقل (تايسن، ٤٨٥: ٢٠١٧) ، و إن معالجة واكتشاف هذه العلاقات بين الأفعال الأدبية والمواضيعات التارikhانية هي أهم مهمة للتارikhانية الحديثة.

٣. نبذة عن الرواية

رواية عبث الأقدار إحدى الروايات المأمة التارikhية لنجيب محفوظ. كما يتبيّن من عنوان القصة فإن القدر هو المضمون الرئيسي للرواية. استلهم المؤلف من قصة النبي موسى (ع) حينما تركت أمه الطفل في النهر أو البحر حتى نشأ وترعرع في بلاط فرعون، و في الصفحات الأولى من الرواية نرى أن الكاهن حين تفسيره رؤى فرعون الأعظم خوف يتكهن أن طفلاً سيولد نفس اليوم و هو سيتولى عرش مصر بعده؛ فيجهز فرعون بعد ذلك جنوداً إلى ولايات مختلفة من بلده ويأمرهم بأن يقتلوا كل طفل يولد في ذلك اليوم. في هذه الأثناء، ينحو طفل حديث الميلاد اسمه ددف بصورة خارقة من أيدي الجنود و يتم تربيته على يد وصيفة تدعى زايا؛ فكثير الطفل و انضم إلى جيش فرعون في سن مبكرة، و بما أنه أظهر من شجاعة و إقدام في الحروب، زادت سلطنته تدريجياً و يوماً بعد يوم من خلال كسب ثقة القادة والخاشية حتى عينه فرعون رئيساً للوزراء ومستشاراً خاصاً وموثوقاً به ، و لم يلبث حتى يزوجه فرعون ابنته. و في نهاية المطاف و بعد كشف الستار عن مؤامرة قام بها ابن فرعون و ولّ عهده مما أدى إلى مقتله يختاره فرعون خليفة له و بذلك يتولى ددف عرش مصر العظيم.

٤. البحث والدراسة

يتناول هذا القسم من المقالة تفاعل ثلاثة عناصر مهمة في الرواية، أي الشخصية والأحداث والخطاب، و الظروف التي عاشها المؤلف و مصر في أواسط القرن العشرين.

٤.١ النفاعل بين شخصيات الرواية والسلطات في عصر المؤلف

في التارikhانية الحديثة تعتبر الشخصية نوعاً من الرمز، و من العناصر والملكونات الرئيسية للسرد، و بدون توظيف الشخصية



يستحيل تكوين قصة أو رواية. فالشخصية في الأعمال الروائية الواقعية تعبر بطريقة أو بأخرى عن أفكار و هواجس المؤلف وأفعاله و رودودها (تادية، ١٣٧٧: ١٠١؛ زرافا: ١٣٨٦: ١٨٢). و في الواقع، من خلال دراسة هذه الشخصية يمكن التعرف على الفاعلين والممثلين والسلطات الأساسية في الحقول السياسية والاجتماعية للمجتمع، و تعتبر شخصيات الرواية بمثابة رموز أو إمكانيات للدخول إلى العالم الحقيقي. وفي قراءتنا لـ« Ubث الأقدار » لائزمي إلى إثبات حقيقة الأحداث التاريخية في فترة تخلصت مصر من هيمنة الحكم العثماني وشهدت حربين عالميتين؛ و إنما القصد منها تبيان نوعية توظيف الشخصيات في الرواية لكي تظهر للقارئ حقيقة المجتمع المصري في عصره الحاضر حيث اتخذ المؤلف من الشخصيات التاريخية و حوادثها في عصر الفراعنة وسيلة للتعبير عن آرائه و توجهاته و مواقفه مما يجري في المجتمع و في أرض الواقع. و إن معظم الشخصيات في رواية « Ubث الأقدار » هي شخصيات ثابتة تمثل كل منها دورها و أدائها كما حددتها الأقدار و كما خلقتها قوة خيال المؤلف و هي التي تسوق الشخصيات إلى المحطة النهائية للرواية. و ما يجدر ذكره أن كل هذه الشخصيات، سواء فرعون خوفو وابنه رعخعوف، اللذين يبدو أحهما ينأيان بالقدر، أو الشخصيات الأخرى في الرواية، مثل ددف وزايا، اللذين يتصرفان كأدلة في يد القدر منذ البداية، جيئها يسير في هذا الاتجاه. ولا شك أن محفوظ يحاول إيصال رسالة للأمة المصرية من خلال هذه الشخصيات والأحداث في القصة، و هي أن كل شخصية من شخصيات القصة تمثل جانباً من خصائص الشعب المصري وأحواله السياسية و الاجتماعية. و من وجهة نظر المؤلف أن فرعون خوفو في Ubث الأقدار يعتبر من ناحية رمزاً للديكتاتورية والطغيان، ومن ناحية أخرى رمزاً لسلطة وجد مصر، والرسالة الرئيسية للرواية تمثل فيما يلي : كما تخلى فرعون في نهاية القصة عن السلطة و فوضها لددف (رمز الحرية)، فمن المؤمل أن يفسح الحكم المستبدون المجال يوماً لتحقيق إرادة الشعب من أجل الحفاظ على سلطة مصر واستقلالها وعظمتها لكي يتخلص الاستبداد والرجسية والديكتاتورية إلى الحرية والديمقراطية. وفي الواقع فإن انتصار ددف النهائي على خوفو يظهر انتصار فكر المؤلف المناهض للسلطوية أمام روحه القومية.

إن « ددف » طفل رضيع ينقذه القدر ويتم هذا الإنقاذ على يد « زايا » (رمز الشعب المصري) من أيدي عمالء فرعون الذين يحاولون قتله، ويتولى أخيراً مصير الشعب المصري، فهو رمز الحرية و الديمقراطية و ميقذ الشعب المصري؛ و كان المؤلف يريد أن يغرس في ذهن القارئ أن الأمة المصرية أمامها طريق طويل و عر قبل تتحقق الحرية والتحرر من قيود الاستبداد والاستعمار و إن الحرية في مصر كطفل يحتاج إلى اهتمام ورعاية و يتمنى أن يكبر يوماً وينقذ شعب مصر من الظلم والطغيان والأنظمة الديكتاتورية، ومهما كانت قوة الطغاة والحكام المستبددين، فسوف يرکعون أمام إرادة الشعب ؛ و إن الحرية ستتحقق محل الاستبداد و الديكتاتورية لا محالة. و أما زايا فهي جارية والدة ددف في رواية « Ubث الأقدار » و اسمها « رده ديديت »، هذه الجارية هي التي تتنزع الطفلة من براثن عمالء فرعون، وترفع ددف بين ذراعيها و في حضنها. إنما رمز الشعب المصري، و كما هي تختتم برعایة ددف و تدعمه بشجاعتها و تضحيتها ليكون منقذاً لمصر و شعبها كذلك يجب على الشعب المصري أن يقدم التضحيّة والإيثار في طريق الحرية حتى ينعم و يتمتع بشارها ونتائجها.

يعكس نجاح مفهوم الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية لعصره في رواية «عبد الأقدار»، ويعبر عن تفسيراته وأفكاره التي تتعلق من الخطاب القومي والنضال من أجل نيل الحرية والمقاومة ضد سياسات حكام مصر المستبددين من خلال لغة الشخصيات التاريخية في القصة، أي أن المؤلف سعى أن يرسم الشخصيات والمشاهد السردية في عمله مستعيناً بتاريخ مصر القديم الذي يشكل الفخر والعتز جزءاً من الخطاب القومي، بما يتناسب مع الظروف وأجواء المجتمع الذي يعيش فيه، وأن تكون هي جزءاً من نفس العصر التاريخي الجديد، حتى يتمكن القارئ من خلال هذه الرواية التعمق بزي المنشدين ويعتبر نفسه أحداً منهم يناضل معهم جنباً إلى جنب.

٤. التفاعل بين أحداث الرواية والواقع في عصر المؤلف

عندما تتوحد الظروف والقيود السياسية والاجتماعية والثقافية، وكذلك الخطابات أو التيارات الفكرية السائدة والمؤيدة لكيان السلطة لكي تسلب من الكاتب حرية التعبير، فإن الروائي المتورط في هذه الدائرة المغلقة يفقد القدرة على الكلام والتعبير عن أفكاره وهو أحاسيس بحرية وبشكل صريح وبالتالي على القارئ أن يكتشف ما يعنيه المؤلف من خلال التدقيق في النص وإعادة قراءته. وحسب التارikhانية الحديثة يكون فهم النص رهن مواقف المؤلف وروايته من التاريخ والأحوال الثقافية والاجتماعية والخطابات الموجودة في النص. لهذا تكون رواية «عبث الأقدار» بمثابة إعادة لسردية نجيب محفوظ لتاريخ عصره وأحواله الاجتماعية والثقافية، وهي في الواقع قراءة نصية لخطابات مختلفة وعلاقات السلطة والاستماع إلى الأصوات الصامتة إلى جانب الأصوات المهيمنة. وإن الصور التي يعرضها المؤلف من وصف ظلم فرعون وطغيانه وشدائد ومعاناة العبيد هي في الواقع سرده للظلم والمصاعب والحرمان الذي يعاني منه الشعب المصري في منتصف القرن العشرين وهم دخلوا تحت قيود العبودية بسبب السياسات والإستراتيجيات الخاطئة المختلفة. فمنذ بداية القصة يحاول نجيب محفوظ أن يوجه ذهن القارئ نحو المقارنة بين عصر الفرعون وعصره وذلك من خلال استخدام الكناية والرمز بصورة فنية ولكي يحرك المشاعر الوطنية التي ثارت في نفوس الشعب المصري خاصة بعد ثورة ١٩١٩م. ولذلك فإن بعض الفروق الدقيقة وال نقاط الصغيرة في سياق نص «عبث الأقدار» تشير إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية في زمن المؤلف.

ومن السمات التاريخية المهمة في الرواية هي انعكاس أرستقراطية الحكام في عصر المؤلف. و في بداية رواية «عبد



«الأقدار» يصف المؤلف روعة قصر فرعون الذي يطل على حديقة شديدة الخضرة متaramية الأطراف وبوصفه الخدم والجواري وحواشي الملك وجمال قصره الفخم ينوي تصوير مظاهر الأرستقراطية ليدفع أذهان الجمهور على الفور إلى مقارنة بين فرعون وملوك عصره، وخاصة الملك فاروق. و من الانتقادات التي ظل المجتمع المصري في منتصف القرن العشرين يوجهها للحكومة والحكام هو الصراع الطبقي الذي يفصل طبقة البلاط وخاصة رجال البلاط عن بقية أفراد المجتمع، و في حين كان الكثير من الناس يعانون من الفقر والضنك بات رجال البلاط و ذوي النفوذ يعيشون في دعة و رفاهية وراحة تامة في القصور الفخمة الرائعة. و هذه المعاناة و الفوارق الاجتماعية بما فيها الفقر و البؤس انعكست أيضا في مؤلفات بعض المعاصرين لنجيب محفوظ نحو مصطفى المفلوطى الذي تناولها ضمن قصصه الروائية (عصفور ٢٠١٠ : ١٣) و لكن نجيب محفوظ اتخذ اسلوب الرمز و استخدام التاريخ الفرعوني لإظهار الارستقراطية السائدة و نقدتها من خلال وصفه قصر فرعون كرمز الأرستقراطية، و تصوير مشاهد من العمال الذين يستغلون بشق الصخور تحت أشعة الشمس الحارقة و حملهم الأحجار الكبيرة والثقيلة لبناء هرم فرعون (العمال رمز للطبقات السفلية في المجتمع)، و بذلك صور المؤلف الصراع الطبقي الموجود وغطية حياة مصريين مختلفين كما يلي:

«جلس صاحب العظمة الإلهية والهيبة الربانية خوفو بن خنوم، على أريكته الذهبية بشرفة مخدعة التي تطل على حديقة قصره المتaramية الغناء..... كان يقلب عينيه الثاقبتين بين أبنائه وصحابته ويرسل بناظريه إلى الأمام حيث يغيب الأفق خلف رؤوس التنجيل والأشجار أو ينحرف بما ذات اليمين فيشهد عن بعد ذلك المضبة الحالدة التي يرقب مشرقها أبوالهول العظيم، ويسكن وجوفها رفات الآباء والأجداد، ويملا سطحها مئات الألوف من الخلق يزيلون كثباتها ويشقو صخورها ويخفرون الأسس المائل لهرم فرعون...» (محفوظ، ١٩٩٠ : ١).

وفي الواقع، يعتزم نجيب محفوظ تجسيد ملك مصر فاروق كفرعون معاصر من خلال سرد مغامرات تاريخية موازية لأحداث معاصرة، ويجسد أحد زعماء مصر و من أنصار الوطنية في قالب شخصية ددف، أحد قادة فرعون و من قذ مصر القديمة ليلمح إلى قيام شخصية معاصرة من جنسه في عصره الحاضر. و من خلال ذلك يحاول الكاتب إبداء نيته و رسالته التي هي رغبة قلبه، فنقلها على هذا النحو: «مثلما سلم فرعون السلطة إلى ددف، يجب على الملك فاروق أيضاً أن يتخلى عن الحكومة لإنقاذ البلاد لكي ينتقل الأمر والحكم إلى أحد القادة الوطنيين الذي تثق به أغليبية الشعب» (ماني أفيسي، ٤٢٠٠ : ٢٦) وبهذه الطريقة يختار نجيب محفوظ الملك فاروق من أن حكمه لن يدوم و أن القدر أو لعنة القدر هي التي ستحدد مستقبلاً مختلفاً له وللأمة المصرية. و هنا ييدو أن راوي القصة أخذ يلعب دور الساحر الذي تكهن في بداية الرواية بزوال حكم فرعون و سلطته وشيكاً رغم تجربه و قوته و كبريائه، فهو كمتكهن عاد في نهاية القصة ليذكّر الملك الفاروق أنه ليس له مستقبل ونهاية سعيدة إلا إذا استقال من العرش بالاستسلام للقدر وتقويض الحكم و السلطة لمن يعرف إدارة البلاط معتمداً على سياسات حكيمة.



٤. التفاعل بين الخطابات الموجودة في الرواية مع الخطابات السائدة في عصر المؤلف

من خلال دراسة مستفيضة مبنية على التارikhانية الجديدة بإمكاننا كشف بعض الخطابات المعاصرة في الأثر وهذه الخطابات لها مساهمة كبيرة في تكوين العمل الروائي و سرده. فنتناول ثلاثة محاور من هذا التفاعل كالتالي:

٤.٣. تقديس الحكم وتقديم فكرة «ظل الله»

في رواية عبث الأقدار يمثل الحكام المستبدون السلطوبين القوة المطلقة و ما يسبب تعزيز سلطتهم و هيمنتهم هو خطاب أنصارهم و دعاتهم الذين يروجون فكرة مشية الله في اختيار الحكم بحيث ينشدون بأن تفوق الحكم في السلطة و تفضيلهم أمر إلهي و الله تعالى هو الذي فوض إليهم الحكم و حكام مصر في ذلك الوقت، مثل كل المستبدون، يعتبرون أنفسهم أصحاب السلطة المطلقة الإلهية وليسوا مسؤولين أمام أحد. وقد أظهر نجيب محفوظ هذه السمة التي كان يتسم بها حكام ذلك العصر في عبارات يقولها أحد رجال البلاط موجهة إلى فرعون كالتالي:

«لَقَدْ وُلِّتِ الْحُكْمُ بِمَشِيَّةِ الْأَلَهِ لَا بِإِرَادَةِ إِنْسَانٍ وَ لَكَ أَنْ تَحْكُمَ النَّاسَ كَيْفَ تَشَاءُ وَ لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ» (محفوظ، ١٩٩٠: ١٤٥).

و في فقرة أخرى و في حوار يجري بين فرعون و الكاهن يأتي أن الآلة نفحت أرواحها في جسد فرعون و من خلالها يشير إلى فكرة التقديس و ألوهية الحكم و الحكومات الاستبدادية المدعومة من قبل جمومعات مرتبطة بالحكومة، و يعتبرها محفوظ مشكلة و فكرة تؤدي إلى خلق الأرضية للاستبداد والديكتاتورية و قمع الأصوات المختلفة:

«إِنَّمَا تَحْتَأْتُمُ مِنْ بَيْنِ أَيْمَانِهِ وَ تَبَعُثُ فِيهِمْ رُوحَهَا الْأَلَهِيَّ لِيُصْلِحُوا الْبَلَادَ وَ يُسْعِدُوا الْعِبَادَ» (محفوظ، ١٩٩٠: ١٥٥).

و بإيراد هذه العبارات يطرح المؤلف مفهوم ظل الله المذكور في الإسلام، أو دم الله الذي كان شائعاً في الحكم السياسي أو الحكومات القديمة، المفهوم الذي يتولى إليها الحكام المستبدون لاستمرار سلطتهم و لإضفاء طابع شعري قدسي على أنفسهم تحت شعار أن الله تعالى هو الذي أعطاهم السلطة و منحهم القيادة بفتح روحه فيهم و بهذه الذريعة و في الدفاع عن الحكومات الاستبدادية يستخدم أصحاب السلطة جميع الإمكانيات و السردية تخلق خطاب واحد و لترسيخه في الأذهان و للقضاء على كل فكرة معارضة لاتفاق مع ذلك الخطاب المختلق و اعتبار كل الخطابات المغایرة له شنوداً و تصرفاً مضرراً خاطئاً (نجوميان، ١٣٩١، ١٥). و لمح الحكم استمرار سلطتهم تتوحد التيارات المرتبطة بالسلطة والخطاب السائد، و على رأسها دعوة الدين لتشويه الحقيقة و قلب الأعراف إلى الشنود و الشنود إلى الأعراف، و لذلك تحاول أركان السلطة إلى ترسیخ هذه الفكرة في الأذهان أن الشعب من واجبه أن يكون في خدمة مصالح الحكم و ليس الحكم في خدمة مصالح الشعب ، لأن أصحاب السلطة لا يقيمون أدنى وزن للشعب و مصيره ، و في ضوء هذه الفكرة كل فرد و حتى كل شيء يجب أن يكون تحت أمرهم ساعياً وراء الاحتفاظ بنظام حكمهم و دعم سلطتهم و من شأنه أن يبذل حياته في هذا الطريق :



«من الذي يتبعي أن يبدل حيائه، الشعب لغير حيائه؟ أم فرعون لشعيه» (المصدر نفسه، ١٤٥) و لأن الحكام هم أمناء الشعب، وكلامهم حكمة إلهية، وطاعتهم عبادة «...رأي حكمة إلهية و طاعتي عبادة» (المصدر نفسه: ٤٤) فإن الحكومة هي وديعة أعطاها لهم الله وهم يحاولون حماية هذه الأمانة الإلهية الموكلة إليهم والدفاع عنها. وبالإضافة إلى ما سبق، يتناول نجيب محفوظ هذه المسألة في موضع آخر: «إن ما يتبعي لفرعون حُكُم عرشه هو ما يتبعي لِلإنسانِ الْأَمِينِ حُكُمَ وَدِيَعَةِ الْأَلَّهِ الْمُكَرَّمِينَ بَيْنَ يَدِيهِ» (المصدر نفسه، ١٤٨).

ومن وجهة نظر المؤلف فإن شخصية حكام مصر هي مزيج من الفراعنة المصريين والخلفاء والسلطان العثمانيين، ولذلك لا يصف تفاصيل خوفو الجسدية والعقلية، و ما يلقي الضوء عليه و يصفه بشكل بارز للغاية هو السمات التي يشاركتها جميع الحكام المستبددين أي الترجسية والغطرسة (طه بدر، دون ١٤٢-١٤٣) و بذلك و من وراء خلق صورة ذهنية تاريخية من العصر الفرعوني يرمي المؤلف إلى توجيه الأذهان نحو حكام عصره.

يتحدى نجيب محفوظ من خلال هذه الفقرات البيدلوجية السائدة في عصره المتمثلة في ألوهية الحكام و يرى أن أركان السلطة تقوم بتكحيم الأفواه و تكبت الأصوات المخالفه بذرعه شذوذها و ذلك من وراء ترويج الاعتقاد بأن الحاكم هو خليفة الله في الأرض و من عاده فهو يعادي الله . و بما أن المؤلف ينزع إلى التيارات الموالية للوطنية المصرية و بطبيعة الحال تتعارض مواقفه مع الخطاب السائد و تكون آراؤه و أفكاره جزءاً من الخطاب الغائب والأصوات المكبوتة، فإنه يتحدى من الرواية التاريخية أدلة ليرفع صوته ضد سلطة المستبددين و لكي يلحق هزيمة بالخطاب السائد و يكشف شذوذه و غير عرفته. وتعد شخصية خوفو في رواية «عبد الأقدار» رمزاً للخطاب السائد في عصر المؤلف و الذي يمثل الطبقة الحاكمة التي تلحد إلى أي وسيلة للحفاظ على أسس حكمتها و تدمير كل ما يهدد عرشه. و تظهر هذه الفكرة بوضوح في عبارات من الرواية كما يلي: «ينبغي لفرعون أن يهلك من يهدد عرشه» (محفوظ، ١٩٩٠: ١٥٦). إن أدلة السلطة في الحكومات الاستبدادية تسعى دائماً وراء تبرير ظلم الحكام و تمجيد أعمالهم السيئة كما تخدع الشعب بأن وراء كل قبيح صادر عن الحاكم أو الملك حكمة و مصلحة يجهلها الشعب كما قال فرعون حين قتل ذلك الرضيع:

«فعال الملوك كفعال الآلة قد تلمس رداء الوحشية و لكنها في جوهرها كلمة سامية» (المصدر نفسه، ١٥٩) يشير المؤلف في ثنایا وطيات النص إلى سمة أخرى للحكومات الاستبدادية في مصر، وهي أن كل حاكم مستبد متغطرس إلى جانب ما يفرض على الشعب من الظلم و التعذيب و في حين سلب منهم الإرادة و الحرية فإنه يعن على الشعب بأنه كرس حياته و حياة أهله لخدمة الناس و هو الذي يتحمل مسؤولية الملايين منهم و يحمل وحده هذا العبء الشقير لتحقيق راحتهم ، و بمحده المخادعة يسد عليهم باب الشكوى و الاعتراض ، كما نقرأ في الرواية :

«كُلُّ مصريٍّ يَسْعَى فِي الْحَيَاةِ لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَسْرِهِ أَمَّا فَرَعُونُ فَيَنْهَضُ بِحِمْلِ أَعْبَاءِ الْمَلَائِكَ...» (المصدر نفسه، ١٥٥). الحقيقة أن فرعون يعتبر نفسه خليفة الله في الأرض و يرى أن ما يفعله من الأعمال يوافق الحق تماماً مدعوماً من جانب





الله فلا يصدر منه إلا ما ينفع الناس ولذلك يعنّ عليهم لكي يكونوا شاكرين له . فإن المؤلف من وراء هذه الكلمات ينوي إظهار وجهة نظره بأن فكرة تقديس الحكماء كانت ولا تزال سائدة في المجتمعات الشرقية ، فإنه باتخاذه جوانب من حياة فرعون وإطلاق الضوء على العصر فرعوني لا يهدف رواية قصة قديمة لاترتبط بالقضايا المعاصرة وإنما هو يروي بشكل رمزي قصة حياة المصريين في عصره.

٤.٣.٢. خمود الشعب واللامبالاة في مواجهة الاستبداد

حسب رأي نجيب محفوظ فإن جزءاً كبيراً من معاناة الشعب و مشاكلهم يتمثل في الخطاب السائد في المجتمع المصري حيث جعلهم يعيشون في الخمود و عدم الاتكارات بما يقضى في المجتمع ، كما يرى أن الحكماء وأذنابهم أخضعوا جماعة من فئات المجتمع باستخدام القوة و العنف و فرض سياساتهم السلطوية عليهم و فئات أخرى بالاستبعاد و من خلال التضليل و التمسك بالغوغائية مستغلين بالجهل و الأممية الفاشية . و بذلك و في ظل مثل هذه السياسات يستمر نظام الحكم الديكتاتوري . و ما يعرضه المؤلف في وصف الأهرام و بنائها ليس إلا مشهداً رمزاً حياً من استسلام الشعب تجاه الحكم و ممارساتهم القمعية و سياساتهم السلطوية ، و بذلك يعرض الشعب لنقد لاذع بسبب خمودهم و عدم إكتراثهم بقضايا المجتمع و مصيرهم ، فمنهم من خضع للذل و العبودية خوفاً ، و منهم من اختار التقاعد و عدم الوقوف بوجه المستبددين الظلمة جهلاً ، و هذا الأخير لا يقوم بأي نشاط ضد السلطة الحاكمة ، بل و هو يشعر بالسعادة و الرضى في حياته . و تظهر هذه الفكرة في مقطع من الرواية و في الحوار بين شخصيتي القصة، فرعون و ميرابو، المهندس العظيم في بلاطه و يقول:

«فَمَا الَّذِي تَطْلُبُ أَنَّهُ يَنْرَمِمُ طَاغِيٍّ وَ يَصْنُرُهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْعَمَلِ؟ الْعَمَالُ يَا مُؤْلِي طَائِفَتَانِ طَائِفَةُ الْأَنْسَى وَ الْمُسْتَوْطِينَ وَ هُؤُلَاءِ لَا يَدْرُوْنَ مَاذَا يَفْعَلُونَ وَ يَرْوُحُونَ وَ يَعْدُونَ بِلَا شُعُورٍ سَامٍ كَمَا يَلْدُرُ الشَّوْرُ حَوْلَ السَّاقِيَةِ وَ لَوْلَا قَسْوَةُ الْعَصَمِ وَ يَقْطَطُ أَجْلَدُ مَا وَقَفَتَا لَهُمْ عَلَى أَرْبَرِ...»؛ (محفوظ، ١٩٩٠: ١٤٥).

وبحسب نظر نجيب محفوظ، فإن المجموعة الثانية تلعب دائماً دوراً أكثر فعالية لبقاء الحكومات الديكتاتورية، لأن المجموعة الأولى سوف تتمرد على الحكم بمجرد إزالة أدوات الضغط والقوة، و أما الفئة الثانية فإنها تحمل مهماً كانت الصعوبات و الضغوط دون إبداء أي استياء أو اعتراض إزاء الظروف السيئة في حياتها و على العكس إنما تشعر بالسعادة و الرضى لأنها تعتبر المصاعب تقديراً إلهاً و ترى تحملها نوعاً من العبادة و القيام بالواجب الشرعي. و لذلك لا يشعر الحكم بأي قلق من جانبها لأنهم على وعي بأنها لا و لن تشكل خطراً عليهم و إنما هي تسبب استمرارية سلطتهم و تعزيزها .

و على ذلك نرى أن المؤلف بخالقه هذه القصة التاريخية يدفع إلى طرح قضايا حديثة يعاني منها عالم اليوم و يرى أن الخمود و التوانى و عدم مبالاة الشعوب بما يفرض عليهم النظم الاستبدادية من أهم أسباب استمرار الحكومات الديكتاتورية.

٤.٣.٣. الصراع بين التقدير والسلطة

ومن المخطابات التكوينية الأخرى في رواية «عبد الأقدار» المواجهة والتقابل والتوتر بين التقدير و مظاهر السلطة و باعتبارها نمطاً بدائياً هاماً على حد تعبير يونغ، (يونغ، ١٣٦٨: ٨٩) و الذي لعب دوراً هاماً في خلق رواية نجيب محفوظ حيث اختار عنوان الرواية بالاعتماد على هذا النمط و مبتهى الذكاء. و مما لا شك فيه آن عنوان الأثر يعن النص هوبيه و إطاره الخاص و له أهمية خاصة في جذب الأنظار و لهذا يسعى المؤلف ليعنون تأليفه في غاية الدقة (حمدوي، ١٩٩٧: ٤٦)، فالعنوان باعتباره أحد عناصر النص و أول كلمة رئيسية له يعبر عن أفكار المؤلف و آرائه كما يحمل في طياته الرسالة الأصلية للنص و العنوان الدقيق الشيق يثير انتباه القارئ و اشتياقه لقراءة النص و متابعته (رحيم، ٢٠١٠: ٣٢٢) عنوان رواية محفوظ أبي عبد الأقدار يدل على أن المؤلف يعتقد بأن النظام الديكتاتوري المتعسف في مصر سيقراض في نهاية المطاف و سوف تحل الحرية و الديمقراطية محله و كأنه حتمية تاريخية و نوع من لعب الأقدار ، و المؤلف باختياره هذا العنوان يسير من بدء القصة في مسار المدف الرئيس للنص و يسايره القارئ في هذا المشوار.

رواية «عبد الأقدار» تدور أحاديثها حول الصراع بين التقدير وإرادة الإنسان و قدرته و حتمية القضاء والقدر، و تسلسل القصة وأحداثها من البداية إلى النهاية يكون تخطيطها و نوعية سردها بشكل يرسخ في ذهن القارئ أن جميع أجزاء القصة بما فيها العناصر و الشخصيات توحدت لكي يتحقق تكهن الساحر المبني على انفراط سلطة فرعون و عائلته . و المؤلف بخلقه هذه الرواية يضع هدفين أساسين : أولاً يعرض المجتمع و الشعب المصريين للانتقاد بسبب الخمود و عدم المبالاة بما يحدث في المجتمع و إهمالهم في تقرير مصيرهم ؛ ثانياً يذل غاية جهده في تحريضهم لبذل مساعدتهم في سبيل الحرية و مكافحة الاستبداد و إيجاد التغيير في الظروف و الأحوال السياسية و الاجتماعية الراهنة كما يركز سعيه على توعية الشعب و تنوير اذهانهم و إثارة روح النضال والوقوف ضد الحكم المستبد (دراج، ٢٠٠٤: ١٣٧). وفي الصفحات الأخيرة من الرواية و لتبين موضوع التقدير و لعب الأقدار نقرأ ما يتفوه به فرعون كما يلي :

حدث مُنْدُ نَيْفِ وَعَشْرِينَ عَامًا أَنْ أَعْلَمْتُ عَلَيَّ الْأَقْدَارَ حَرْبًا شَعْوَاءَ تَحْدِيثٌ إِذَا دَأَدَهُ الْأَلْهَةُ فَحَرَدَتْ حِيْشَا صَغِيرًا سِرْزُتْ عَلَى رَأْسِهِ بَنْسِي لِقَتَالِ طَفْلٍ رَضِيعٍ وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَبْلُو لِي كَانَهُ يَسِيرُ وَفُقْ مَشِيَّتِي فَلَمْ يُرْعِجِنِي دَاعِيَ الشَّكَّ قَطُّ وَلَكِنْتُ أَيْ نَقْدُثُ إِرَادَتِي وَأَغْلَيْتُ كَلْمَتِي وَإِذَا بِالْحُقْيَّةِ الْيَوْمَ هَرَأَ بِطْمَانِيَّتِي وَإِذَا بِالرَّبَّ يَصْفُعُ كَبِيرِيَّاتِي وَهَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ كَيْفَ أَيْ أَجْزِي طِفْلَ رَعَ عَلَى قَتْلِهِ وَلِي عَهْدِي بِإِخْتِيَارِهِ حَلْفًا لِي عَلَى عَرْشِ مَصْرَ فَمَا أَعْجَبَ هَذَا أَيْهَا النَّاسُ! (نجيب محفوظ، ١٩٩٠: ٢٢٥).

تمثل الرسالة الرئيسية و النهاية للقصة في اعتقاد المؤلف بأن اختيارات السلطات التعسفية أمر حتمي حسب جبر التاریخ و لعب التقدير، و إذا قدرت الأقدار إنقاذ دف ذلك الطفل الرضيع من براثن فرعون و جنوده لكي يعتلي عرش مصر ك الخليفة لفرعون و بذلك تغير مصير المصريين القدماء ، فإن الحرية سوف تحل محل الديكتاتورية و الحكومات المستبدة في مصر ، لا بحكم القضاء و القدر و إنما بإرادة الشعب . (الشطي، ٤: ٣٧). لأن اللجوء إلى التقدير و التمسك



بالتأويلاط السماوية لحفظ نظام الحكم و إيقائه أمر عبث لا طائل وراءه ، و سوف يتتصـر الشعب على القدر بالاعتماد على إرادته و قدراته الذاتية . و كان نجيب محفوظ واقفاً على شيوخ الاعتقاد بالقضاء و القدر بين الشارع المصري و مدى تجذـره في أذهان الناس على مر الزمن و لذلك ينظر إليه باعتباره خطاباً سلبياً مثيراً للأزمـات ومانعاً تجـاه النـضـال في سـبيل تـحـقيق الحرية. و على هذا الأساس منـذ بداية القـصـة حتى خـاتـتها ظـلـ يـتـحدـى هـذـاـ المـعـتـقـدـ.

نتائج البحث

استخدم نجيب محفوظ تاريخ مصر القديم والأحداث المتعلقة بعصر الفراعنة كأدـاة للتعبير عن آرائه وأفـكارـه بـسبـبـ الـقيـودـ والـمـوـانـعـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـثـقـافـيـةـ، وـسيـطـرـةـ الـخـطـابـاتـ الـمـهـيـمـةـ بـبـنـيـةـ السـلـطـةـ وـالـتـيـارـاتـ الـحـاكـمـةـ فـيـ روـاـيـةـ الـرـائـعـةـ «ـعـبـثـ الـأـقـدـارـ»ـ. وـفـيـ هـذـهـ روـاـيـةـ جـعـلـ المؤـلـفـ فـرعـونـ رـمـزاـ لـحـاكـمـ مصرـ الـمـسـتـبـدـينـ الـمـعـاصـرـينـ وـجـعـلـ دـدـفـ،ـ الطـفـلـ الـذـيـ بـخـاـ منـ عـمـلـاءـ فـرعـونـ وـجـيـوـشـهـ وـجـلـسـ فـيـ النـهـاـيـةـ عـلـىـ العـرـشـ بـدـلـاـ مـنـ فـرعـونـ،ـ رـمـزاـ لـتـحـرـيرـ الـمـصـرـيـنـ وـنـجـاحـمـ وـحـرـيـتـهـمـ حـتـىـ بـخـاـ الـشـعـبـ الـمـصـرـيـ مـنـ هـيـمـنـةـ الـحـاكـمـ وـسـلـطـهـمـ الدـائـمـ.ـ النـاسـ لـقـدـ سـئـمـواـ مـنـ الـحـاكـمـ الـمـسـتـبـدـينـ وـالـحـكـوـمـاتـ الـمـتـضـرـرـةـ غـيرـ الـمـفـيـدةـ وـيـأـمـلـونـ الـحـرـيـةـ وـالـنـجـاحـ وـالـكـاتـبـ يـعـطـيـ الـأـمـلـ بـأـنـهـ إـذـاـ استـمـرـواـ فـيـ النـضـالـ وـالـسـعـيـ لـتـحـقـيقـ مـطـالـبـهـمـ الـتـحـرـرـيـةـ سـيـلـغـواـ الـمـقـصـودـ؛ـ إـنـ الـمـلـكـ فـارـوقـ أـوـ أـيـ حـاكـمـ طـاغـيـ آخرـ سـيـضـطـرـ فـيـ النـهـاـيـةـ إـلـىـ اـعـتـاقـ الـحـرـيـةـ وـاسـتـسـلـامـ لـمـطـالـبـهـمـ وـيـؤـديـ هـذـاـ الـتـيـارـ إـلـىـ تـسـلـيمـ الـحـكـوـمـةـ لـشـخـصـ أـوـ حـرـكـةـ حـرـةـ رـاغـبـةـ وـمـوـثـقـةـ مـنـ قـبـلـ الـشـعـبـ.

وـرـغـمـ أـنـ روـاـيـةـ «ـعـبـثـ الـأـقـدـارـ»ـ لـنـجـيبـ مـحـفـوظـ تـعـدـ روـاـيـةـ تـارـيـخـيـةـ وـنـتـاجـ فـتـرةـ خـاصـةـ مـنـ أـسـلـوـبـهـ أـيـ فـتـرةـ الـكـتـابـةـ الـتـارـيـخـيـةـ لـلـمـؤـلـفـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ ذـاتـ تـفـاعـلـ فـعـالـ مـنـ حـيـثـ الـشـخـصـيـاتـ وـالـأـحـدـادـ وـالـخـطـابـاتـ بـمـؤـسـسـاـتـ الـمـسـاـوـيـةـ فـيـ الـجـمـعـ.ـ إـنـ وـجـودـ شـخـصـيـاتـ مـوـازـيـةـ مـنـ الـشـخـصـيـاتـ الـمـسـتـبـدـةـ وـالـشـخـصـيـاتـ الـطـالـبـةـ لـلـحـرـيـةـ دـفـعـ الـقـارـئـ إـلـىـ تـحـسـيدـ الـوـجـودـ خـالـلـ هـذـهـ الـثـانـيـةـ.ـ إـنـ أـحـدـاـتـ الـرـوـاـيـةـ الـخـيـالـيـةـ مـثـلـ قـصـرـ الـحـاكـمـ وـالـأـشـخـاصـ الـمـرـتـبـيـنـ بـهـ وـنـظـرـةـ غـيرـ صـالـحةـ إـلـىـ الـمـواـطـنـيـنـ وـالـإـسـاءـةـ إـلـيـهـمـ وـاعـتـبـارـهـمـ كـالـعـبـيدـ تـكـوـنـ مـرـتـيـطـةـ بـالـأـحـدـادـ الـرـاهـنـةـ.ـ فـيـ الـمـسـتـوىـ الـخـطـابـيـ،ـ إـنـ قـضـيـةـ تـقـدـيسـ الـحـاكـمـ وـالـأـسـتـبـدـادـ الـمـتـجـذـرـ فـيـ مـصـرـ،ـ وـخـضـوعـ الـنـاسـ وـانـفـاعـلـمـ وـتـرـاـخـيـهـمـ فـيـ مـواـجـهـةـ الـاـسـتـبـدـادـ،ـ وـالـصـرـاعـ مـعـ الـقـدـرـ أـوـ الـاـسـتـسـلـامـ لـهـ،ـ هـيـ أـهـمـ الـخـطـابـاتـ الـمـشـرـكـةـ فـيـ الـجـمـعـ الـمـصـرـيـ.ـ مـحـفـوظـ فـيـ عـمـلـهـ الـتـارـيـخـيـ حـسـبـ الـظـواـهـرـ السـرـدـيـةـ،ـ يـزـوـدـ الـقـارـئـ بـمـذـهـدـ الـمـعـلـومـاتـ الـتـارـيـخـيـةـ الـجـدـيـدةـ فـيـ إـطـارـ الـتـارـيـخـيـةـ الـمـدـيـنةـ وـيـقـدـمـ صـورـةـ وـاضـحةـ عـنـ الـأـحـدـادـ وـأـسـبـابـ الـأـحـدـادـ الـتـيـ شـهـدـهـاـ مـصـرـ فـيـ الـثـلـاثـيـنـيـاتـ وـالـأـرـبـعـيـنـيـاتـ مـنـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ خـالـلـ قـالـبـ سـرـديـ قـلـسـ.

المصادر

- إدغار، أندرو (١٣٨٧) المفاهيم الأساسية للنظرية الثقافية، ترجمـه: مهرـانـ مـهـاجـرـ، محمدـ نـابـوـيـ، طـهـرـانـ:ـ آـكـهـ.
- بـرـيسـلـرـ، تـشـارـلـزـ (٢٠١٦ـ).ـ مـقـدـمـةـ إـلـىـ نـظـرـيـاتـ وـأـسـلـيـبـ الـنـقـدـ الـأـدـبـيـ.ـ تـرـجمـهـ:ـ مـصـطـفـيـ عـابـدـيـ فـرـ.ـ طـهـرـانـ:ـ نـيـلـوـفـرـ

References

- Al-Muhanna, Abdulah bin Muhammad bin Nasser (1996), *A Study of the Narrative Plague in Children of Our Alley* by Naguib Mahfouz. Riyadh: Dar Alam Al-Kitab.
 - Al-Oaisi, Audat Allah (2004). Naguib Mahfouz: Repetitive Character Models



and Their Significance in His Novels. Jordan: Dar al-Yazouriya al-Ilmiya.

- Al-Shatti, Sulaiman (2004), Symbol and Symbolism in Naguib Mahfouz's Literature, Cairo: Egyptian General Authority for Books.
- Asfour, Jaber (2010), Naguib Mahfouz: Symbol and Value, The Global Gaddafi Prize for Literature.
- Biniaz, Fathollah (2011), In the World of Modernist Novel, Tehran: Afrāz, First Edition.
- Bressler, Charles (2017), An Introduction to Literary Criticism and Theories. Translated by Mostafa Abedinifar. Tehran: Niloufar.
- Duraaj, Faisal (2004), Novel and Interpretation of History, Beirut: Arab Cultural Center.
- Edgar, Andrew (2008), Basic Concepts of Cultural Theory, Tehran: Mehran Mahajar, Mohammad Nabavi, Tehran: Agah.
- Hamdawi, Jameel (1997), Music and Annotation, World of Thought Magazine, Issue 13, pp. 45-47.
- Jung, Carl Gustav (1989), Four Archetypal Patterns. Translated by Parvin Framarzi, Mashhad: Astan Ghods.
- Mahfouz, Naguib (1990), Complete Works, First Edition: Library of Lebanon.
- Milani, Abbas (2008), Renewal and Opposition in Iran. Vol. 7. Tehran: Akhtaran.
- Montrose, Louis A. "Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture," in the New Historicism, Ed. by H. Aram Veesscr. New York, 1989. PP.
- Naqash, Raja (1995), In Love with Naguib Mahfouz. Cairo: Dar al-Shorouk.
- Nejumian, Amir Ali (2006), History, Language, and Narrative. Research Journal of Humanities, No. 52, pp. 305-318.



- Payandeh, Hossein (2018), Literary Theory and Criticism in Interdisciplinary Textbook. Tehran: Samt.
- Rahim, Abdul Qadir (2010): Narratology: An Applied Study. Damascus: Dar al-Takwin for Authoring, Translation, and Publishing.
- Tadié, Jean-Yves (1998), An Introduction to Literary Sociology (Collection of Articles). Translated by Mohammad Jafar Pooyandeh. Tehran: Naghsh-e Jahan.
- Taha Badr, Abdul Hussein (n.d.), Naguib Mahfouz: The Novel and the Tool. Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Tyson, Lois (2008), Contemporary Literary Criticism Theories. Translated by Maziyar Hassanzadeh and Fatemeh Hosseini. Tehran: Negah-e Emrooz and Hekayat-e Ghalam-e Novin.
- Zarafa, Michel (2007), Socioliterary Sociology of Fiction and Novel and Social Reality, Translated by Nasrin Parvini, Tehran: Sokhan.



واکاوی رمان عبث القدار با رویکرد تاریخ‌گرایی نو

فرزانه واعظی^۱، عنایت الله فاتحی نژاد^{۲*}، سید بابک فرزانه^۳

چکیده

در اوخر قرن بیستم اصطلاح تاریخ‌گرایی نو در مقابل تاریخ‌گرایی سنتی بر اساس نظریات اندیشمند آمریکایی استیون گرینبلت شکل گرفت، سپس توسط افرادی چون لوی مانتروز نظریه پردازی و توسعه یافت. در تاریخ‌گرایی نوین متون ادبی همچون متون تاریخی قابل تفسیرند و اگر تاریخ نوعی روایت است، روایت‌ها و آثار ادبی هم گونه‌ای متون تاریخی‌اند، از این رو از آن به متنیت تاریخ و تاریخیت متن یاد می‌شود. در تاریخ‌گرایی نوین میان تاریخ و ادبیات مرزی نیست و خواننده می‌تواند با خوانش دقیق متون ادبی، داده‌های تاریخی ارزشمندی در لایه‌های زیرین متن بدست آورد. این مقاله با استفاده از رویکرد توصیفی – تحلیلی به واکاوی رمان عبث القدار پرداخته است تا وجوده مغفول تاریخی و گفتمان‌های مسلط عصر نویسنده را کشف و بررسی کند. مطابق با یافته‌های پژوهش، نجیب محفوظ در این رمان با بازآفرینی قصه‌ای تاریخی – فرعونی گفتمان‌ها، تنش‌های فکری و تقابل‌های اجتماعی جامعه دهه‌های میانه قرن بیستم منعکس کرده است و می‌توان گفت که اثر محصول مخالف گفتمان‌هایی نظری نفی تقدیر، تقویت روحیه مبارزه و سنتیز با استبداد، بازتاب صدای ملی‌گرایانه، تقابل میان اندیشه‌های استعماری و استعمارستیزی است.

کلمات کلیدی: تاریخ‌گرایی نوین، نجیب محفوظ، عبث القدار، مناسبات قدرت و گفتمان.

^۱ دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم تحقیقات، تهران، ایران، ایمیل: farzaneh.vaezi124@gmail.com

^۲ نویسنده مسؤول، دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران مرکز، تهران، ایران، ایمیل: fatehieenayat@gmail.com

^۳ استاد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات، تهران، ایران، ایمیل: dr.farzaneh@gmail.com

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی
حق مولف © نویسنندگان 